العوامل الذاتية لبناء فكر الإنسان في القرآن الكريم من منظور العلامة الطباطبائي

الباحثة زينب مصارع محمد
jantaalmaoa12346@gmail.com
جامعة الاديان والمذاهب ، ايران
د. محمد شريف كار موحد
قسم علوم القران ، جامعة الاديان والمذاهب ، ايران
د. حمزة علي اسلامي نسب
قسم علوم القران ، جامعة الاديان والمذاهب ، ايران

المقدمة:

للعقل عند العلامة الطباطبائي مكانةٌ رفيعة؛ إذ يذهب ـ بوصفه فيلسوفاً مسلماً ومجتهداً أصولياً ـ إلى قدرته على إدراك الحسن والقبح، خلافاً للأشاعرة، وخلافاً كذلك للأخباريين الذين لا يعدّون هذا الإدراك حجّة ومعتبراً.

فبعد حديثه عن الفكر الديني، يقول الطباطبائي: لقد وضع القرآن الكريم في تعاليمه لأتباعه ثلاثة سبل لإدراك المقاصد الدينية والمعارف الإسلامية، وهي: ١ ـ الظواهر الدينية (ظهورات الألفاظ). ٢ ـ الحجّة العقلية. ٣ ـ الإدراك المعنوي عن طريق إخلاص العبودية وعليه، فالقرآن أمضى الإدراك العقلي وأجازه، بل اعتبره جزءاً من التفكير الديني نفسه.

وعلى الخطّ المقابل، فالتفكير العقلي يعطي كذلك الحجيّة والاعتبار لظواهر القرآن، وهي وحيٌ سماوي، ولبيانات النبي الأكرم وأهل البيت فيجعلها في مصافّ الحجج العقلية، وذلك بعد إثباته حقيّة نبوّة النبي والتصديق بها.

والحجج العقلية التي يثبتها الإنسان بفطرته الموهوبة له من قبل الله تعالى، تنقسم إلى قسمين: البرهان، والجدل، أما البرهان فهو حجّة عندما تكون موادّه ومقدّماته حقّةً وواقعية، حتى لو لم تكن مشهورةً ولا

مسلّمة، وبعبارة أخرى أن تكون قضايا يضطرّ الإنسان بشعوره الفطري إلى إدراكها والتصديق بها، فهذا النحو من التفكير هو تفكير عقلي، وعندما يجري إعمال هذا التفكير العقلي في مجال كليات الرؤية الكونية، مثل التفكير في مبدأ الخلق ونهاية العالم وأهله، فإنّه يسمّى حينئذٍ بالفكر الفلسفي أمّا الجدل، فهو الحجّة التي تكون مقدّماتها ـ كلاً أو بعضاً ـ من المشهورات أو المسلّمات، تماماً كما هو الحاصل لدى أنصار الديانات والمذاهب السائدة؛ حيث نجد داخلها نظريات مذهبية يجري إثباتها عن طريق مسلّمات هذا المذهب أو ذاك.

وقد استخدم القرآن الكريم المنهجين معاً، فقد امتدح بأحكم وأقوى بيان جهود العقل الحرّ ويقول الطباطبائي: تعتقد الشيعة ـ اعتماداًعلى الدلالة القرآنية وهداية الأخبار القطعية ـ أن هناك ثلاثة أمور معتبرة في المعارف والعقائد الإسلامية، يمكن العمل وفق كلّ واحدة منها، دون غيرها وهي: الكتاب، والسنّة القطعية، والعقل الصريح .

وفي هذه المقالة سوف نشرع ببيان معنى العقل لغة واصطلاحًا مع بيانه في القرآن الكريم، ثم نردفه ببيان حقيقة العقل وأنواعه وحجيته في المعرفة الدينية عند السيد الطباطبائي وفي النهاية نستخلص النتائج الحاصلة من خلال البحث إن شاء الله.

المفاهيم الاساسية

مفهوم العقل لغة واصطلاح

بالنظر إلى المعاني اللغوية نجد أن مادة (عقل) وردت بعدة معاني، ومنها:

أ- العقل بمعنى العلم ونقيضه الجهل: قال الخليل: العقل: نقيض الجهل، يقال: عقل يعقل عقلا، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله، وجمعه عقول، ورجل عاقل وقوم عقلاء، وعاقلون.

ب الحبس قال ابن فارس: (عقل) العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد يدل عظمه على حبسة في الشيء أو ما يقارب الحبسة.

٢_حقيقة العقل عند السيد الطباطبائي

ذكر معنيين للعقل لغة، وهما:

أ- العقل مصدر عقل يعقل، إدراك الشيء وفهمه الصحيح، ويقابله الجنون والسفه والحمق والجهل باعتبارات مختلفة. ب العقل اسم لما يميز به الإنسان بين الصلاح والفساد، وبين الحق والباطل، والصدق والكذب، وهو نفس الإنسان المدرك، وليس بقوة من قواه التي هي كالفروع للنفس كالقوة الحافظة والباصرة

وغيرهما. وهذا بناء على ما تبناه السيد الطباطبائي من نظرية النفس في وحدتها كل القوى المقبولة في الحكمة المتعالية.

فالأصل في معنى العقل – عند السيد الطباطبائي – العقد والإمساك والحبس وبه سمي إدراك الإنسان إدراكا يعقد عليه عقلا، وما أدركه عقلا . [١]

ويعرفه في الفلسفة بأن العقل هو الجوهر المجرد عن المادة ذاتا وفعلا الطباطبائي، بداية الحكمة، ص ١٦٩، وهذا هو المعنى الفلسفي الوجودي، وهو الموجود المفارق التام. وليس هو المقصود في هذا البحث، بل المراد منه هنا المعنى المعرفي وهو قوة مدركة للكليات.[٢]

ويطلق السيد الطباطبائي كلمة «العقل» على الإدراك من حيث فيه عقد القلب بالتصديق، وهو نور روحاني تدرك به النفس حقيقة الأشياء ويميز به الإنسان المستقيم من غير المستقيم، والخير والشر، والنافع والضار.

المبحث الاول

علاقة السلامة البدنية بالعقل من منظور العلامة الطباطبائي

لقد جاء التأكيد في الشريعة الإسلامية على أهمية الاهتمام بالجانب النفسي والمعنوي للإنسان، حتى عدّ أن الكثير من الأمراض الجسدية والبدنية يرجع إلى الإصابة بالأمر النفسية، ولما كان الموضوع يختص ببناء الفكر الإنساني وتتنميته، فمن الطبيعي جدا أن تكون هنادة عدة عوامل مؤثرة سلباً وإيجابا عليها.

ولا يخفى دور الجسم والبدن وسلامته في عملية البناء الفكري وتطويره؛ وكما قيل: "العقل السليم في الجسم السليم"[٣]، وقد جاء تأكيد أهمية هذا الأمر من قبل الباحث الإسلامي القرشي إذ قال: " قال القرشي: "من المؤكد ان قوة الفكر وسلامته تابعة لصحة الجسم، فإذا كان مصابا ومبتلى بالأمراض فتضعف القوى العقلية وفي المثل "العقل السليم في الجسم السليم" كما أن من المؤكد ان طيب الهواء وعذوبته وعدم تلوثه من العناصر الأساسية في الصحة العامة "[٤] .

---

[١] انظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٤٧)

[٢] انظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٠٥ ١٥٦ ج ٢، ص ١٨٨ و ٢٤٧ ج ١٣، ص٨٦

[٣] ينسب هذا القول أو الحكمة إلى الفليلسوف الأغريقي (طاليس)، هو أحد فلاسفة الإغريق حكمائه السبعة، الذين سبقوا سقراط، وهو أول من نسب له القول أيضاً بأن أصل عالم الوجود الإمكاني هو الماء؛ إذ جعله منشأ لحياة وأصل لجميع الموجودات. ينظر:

[٤] حياة الإمام الرضا (ع)، ج١، ص٢١٥.

فالعقل في نظر هؤلاء الحكماء والباحثين، هو المسؤول عن العمليات الذهنية التي تشمل التعلم والفهم والإدراك، وله ارتباط كبير وأهمية عظيمة بالنسبة للجسم، ولذا سلامته مهمة بالنسبة لسلامة الجسم، نعم إن سلامته لا تشترط بسلامة الجسم، لأن الوظائف العملية للذهن والجسم مرتبطة بالعقل السليم، فهو المسؤول عن الوعي والشعور والإدراك والفهم، فالأمراض النفسية والعقلية تؤثر أثرها في الأبدان، وقد تسبب لها عاهات وأمراض يصعب علاجها، فسلامة الجسد والبدن علامة من علامة سلامة العقل؛ فالحفاظ عليه وسيلة من وسائل الاستفادة من الإمكانية العقلية الجبارة؛ لأن العقل لا يمكنه أن يؤدي غرضه بشكل دقيق، وبالخص فيما يرتبط بالأفعال الظاهرية المرتبطة بالابدان، ما لم يكن هنا جسم وبدن سليم، فالتعبير عن العقل هو تعبير عن الفكر وبنائه، فكما أن ممارسة الإنسان للرياضات الجسدية تؤثر على فاعلية الخلايا العصبية من حيث النشاط والجديد والفعل والانفعال، وهذا مما يؤثر على ذاكرة الإنسان وسرعة تعلمه نتيجة زيادة النشاطات العصبية الرئيسة المسؤولة عن تنظيم الحالات العقلية والذهنية والمزاجية، بالإضافة إلى دورها في تجنب الإنسان من الإصابة بأمراض الشيخوخة، بل والشفاء منها، وتحسين الوظائف المعرفية، كالانتباه والذاكرة والحافظة بحسب ما جاء في التقارير العلمية والتجريبية .

كما أن للنشاط البدني دور كبير في تحصين الدماغ من الإصابة بالأمراض النفسية، وسوء الفهم، وعدم المعرفة، وداء النسيان، ونحوها من الأمراض الموجبة للاضطرابات النفسية والعقلية؛ إذ إن الدماغ بحاجة إلى دعم مستمر لتنظيم نشاطه وتقويته، وهذا مما يعززه بواسطة التمارين الرياضية، وانتظام اوقات النوم، والصحة الغذائية، ونحوها مما يرتبط بالصحة والسلامة البدنية إذ جاء في علم النفس إنّ: "الإنسان حين يغشاه انفعال كالخوف أو الحزن أو الغضب ، فإن هذه التأثيرات الوجدانية والانفعالية تصحبها تغيرات أو اضطرابات جسمية وفسيولوجية قد تكون بالغة الخطورة إن أزمن الانفعال . فقد اتضح أن القلق المزمن الموصول قد يؤدي إلى ظهور قرحة في المعدة أو الاثني عشر ، وأن الكراهة المكظومة لمدة طويلة قد تؤدي إلى ارتفاع في ضغط الدم . . "[٥].

ومن هذا المنطلق أكدت الشريعة الإسلامية على أهمية الاعتناء بالصحة البدنية وسلامتها؛ كما يظهر ذلك من خلال ما ورد فيها من التشريعات، التي من مهمتها وقاية الجسم من الإصابة بالأمراض والعلل والأسقام، من قبيل ما يرتبط منها بالنظافة والتأكيد عليها ، والوضوء والأغسال وسائر الطهارات الأخرى ،

[٥] راجح، د. أحمد عزت ، أصول علم النفس ، ص ١٢.

بالإضافة إلى ما يرتبط بأحكام الأكل والشرب[٦]، كما قيل إن "المعدة بيت الداء والحمية هي الدواء"[٧]، قال الطباطبائي: "ومما يناسب المقام ما روي : أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال ذات يوم لعلي بن الحسين بن واقد : ليس في كتابكم من علم الطب شئ ، والعلم علمان : علم الأديان وعلم الأبدان ! فقال له علي : قد جمع الله الطب كله في نصف آية وهو قوله : " كلوا واشربوا ولا تسرفوا " وجمع نبينا الطب في قوله : " المعدة بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء ، وأعط كل بدن ما عودته " فقال الطبيب : ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا"[٨].

المبحث الثاني

علاقة السلامة النفسية بالعقل من منظور العلامة الطباطبائي

تعتبر السلامة النفسية من مقومات بناء فكر الإنسان؛ إذ إن الاضطراب والقلق النفسي يؤثر تأثيراً سلبياً على عملية التلقي والفهم والاستيعاب؛ لأن فكر الإنسان بحاجة إلى صفاء روحي ونفسي، فالقلق والاضطراب النفسي يسبب حالة من التشوش الذهني، من ثم لا يستطيع الإنسان أن يدرك ويستوعب ما يتلقاه من العلوم والمعارف، وعندئذ تتعطل عملية البناء الفكري وتطويره.

وعليه فالصحة النفسية تجعل من الإنسان مقتدراً على مواجهة الضغوط والمشكلات الحياتية، وفي نفس الوقت يحتاج الإنسان إلى أبناء جلدته في عملية البناء والتطور، وفي اتخاذ القرارات وإقامة العلاقات الاجتماعية، وهذا مما يتوقف على السلامة النفسية لابناء المجتمع الذين يلتجأ إليهم الإنسان في الملمات والمشكلات التي تواجهه بهدف اتخاذ القرار الصائب حيالها، قال المبالني: "وأما الشورى والمشورة والتشاور في الأمور ، وفي القضايا الخاصة أو العامة ، والأمور الاجتماعية ، وفي حل المشاكل ، فذلك أمر مستحسن مندوب شرعا وعقلا وعقلاءا ، لأن من شاور الناس فقد شاركهم في عقولهم ، والإنسان إذا احتاج إلى رأي أحد احتاج إلى مشورة من عاقل ، ففي القضايا الشخصية لا بد وأن يبادر ويشاور ، وهذه سيرة جميع العقلاء"[٩]، في إشارة منه إلى ما نقل عن أمير المؤمنين علي قوله(ع): "من استبد برأيه هلك ، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها"[١٠]، ولهذا عندما نزلت آية الشورى، قال الطباطبائي: "في الدر

---

[٦] القرشي، محمد باقر، النظام السياسي في الإسلام، ص٢٩٨.

[٧] الصدوق، محمد بن علي، الخصال، ص٥١١؛ له أيضا، علل الشرائع، ج١، ص٩٩.

[٨] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٨، ص٨٤.

[٩] الميلاني، علي، الشورى في الإمامة، ص٨؛ وله أيضا، محاضرات في الاعتقادات، ج٢، ص٥٢٧.

[١٠] عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٤١؛ المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٣٨٢.

المنثور أخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب بسند حسن عن ابن عباس قال : لما نزلت وشاورهم في الامر – قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – أما إن الله ورسوله لغنيان عنها – ولكن جعلها الله رحمة لامتي فمن استشار منهم لم يعدم رشدا – ومن تركها لم يعدم غيا"[١١].

ثم إنّ حالة الهلع والقلق والاضطراب النفسي تمنع من علمية التقدم والبناء الفكري والتطور في مختلف ميادين الحياة العلمية والعملية، فالصحة حق من حقوق الإنسان الطبيعية والأساسية، فهي من تسهم في علمية التنمية الفكرية والبشرية على المستوى الفردي والاجتماعي، والاقتصادي، وهكذا يعد الاضطراب النفسي عامل من عواملها السلبية، كذلك بقية الاعتلالات النفسية الأخرى لها من الأهمية والتأثير السلبي على الصحة النفسية، وبالبناء الفكري والسلوك السليمين، هذا ما جاء بحسب تقرير منظمة الصحة العالمية بأن الصحة النفسية، تعنى بـ "الحياة التي تتضمن الرفاهية والاستقلال والجدارة والكفاءة الذاتية بين الأجيال وإمكانات الفرد الفكرية والعاطفية

ومن هنا جاء التأكيد على الاهتمام في المراحل الأولى في تربية الطفل، باعتبارها القاعدة التي تستند عليها بقية المراحل في عملية البناء الفكري والجسدي، إذ قيل في مرحلة حضانة الطفل: "هي أهم المراحل في نمو الطفل البدني واللغوي والعقلي والأخلاقي، وهي مرحلة تشكيل البناء النفسي الذي تقوم عليه أعمدة الصحة النفسية والخلقية، وتتطلب هذه المرحلة من الوالدين إبداء عناية خاصة في رعاية الطفل وحمايته، وتوفير ما يحتاجه من مقومات النمو البدنية والروحية، ليكون عنصرا فعالا في المجتمع"[١٢]، وقيل أيضاً: "وأكد أهل البيت (عليهم السلام) ... على إقامة علاقات المودة والحب بين الوالدين ، وتجنب المشاكل التي تؤثر على الصحة النفسية لكليهما وللأم على وجه الخصوص ، لانعكاس انفعالاتها المتشنجة واضطرابها النفسي على الطفل في مرحلة الرضاعة"[١٣].

ومن هنا جاء تأكيدها على رفاهية الفرد وقدرته على إدراك أهمية التعامل مع الضغوط الحياتية، والعمل على مساعدة مجتمعه في النهوض والتقدم والبناء، ويعد مصطلح الصحة السلوكية كأفضل تعبير عن الصحة العقلية، فالاشخاص الذين يعانون من مشاكل سلوكية، يواجهون مشاكل نفسية عديدة، من أبرزها الاكتئاب والتعب والقلق والاضطراب بالإضافة إلى مشاكلهم مع الآخرين، كما يعانون أيضا حالة

[١١] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص٦٩.

[١٢] إعداد مركز الرسالة؛ آداب الأسرة في الإسلام، ص٥٧.

[١٣] إعداد مركز الرسالة؛ تربية الطفل في الإسلام، ص٥٠.

من الحزن والفتور وعدم الانتباه وصعوبة التعلم واضطراب المزاج ونحوها من الأمراض النفسية، فقد جاء بأنه: "قد اعترف بذلك كثير من علماء النفس المتخصصين منهم الدكتور: إرنست ادولف، أستاذ مساعد بجامعة سانت جونس الأمريكية ، عندما سئل عن الأسباب الرئيسية للأمراض العصبية ؟ فأجاب : "إن من الأسباب الرئيسية لهذه الأمراض الشعور بالإثم أو الخطيئة والحقد والخوف والقلق والكبت والتردد والشك والغيرة والإثرة والسأم، ومما يؤسف له أن كثيرا ممن يشتغلون بالعلاج النفسي قد ينجحون في تقصي أسباب الاضطراب النفسي الذي يسببه المرض ، ولكنهم يفشلون في معالجة هذه الاضطرابات ، لأنهم لا يلجأون في علاجها إلى بث الإيمان بالله في نفوس هؤلاء المرضى"[١٤].

ولما كان الإنسان هو اللبنة الأساسيّة للمجتمع وجوهر بنائه، فالسوي منه هو مصدر النهضة والفكر والتقدّم، ولكي يقوم الفرد بأداء واجباته ومهامه الذاتيّة والاجتماعيّة على أكمل وجه لا بد أن يكون متمتّعاً بصحة نفسيّة عالية تخلو من الاضطرابات والمشاكل التي تؤثر بشكل سلبيّ في بذله وعطائه وإنجازاته، فالفرد المصاب باضطراب أو خلل نفسيّ له أثر سلبي يعود على ذاته وعلى الآخرين من حوله، فيقف عائقاً في وجه تقدّمه وإنجازاته، لذا فظهرت الأهميّة الكبيرة لدراسة للصحة النفسيّة التي تصل بالفرد إلى الانسجام والتوافق النفسي والاجتماعي، والقدرة العالية على الإنتاجية والسعادة والعطاء[١٥].

وعليه فقد أكدت الشريعة الإسلامية على التنشئة السليمة للفرد ابتداءً من أسرته ومروراً بمحيطه ومؤسسة التعليمة على مختلف أصعدتها وميادينها العلمية والتربوية، فالإنسان حصيلة هذه التنشئة الاجتماعية، لما لها من أثر كبير في تكوين شخصيته وهويته نتيجة الثقافات والمعارف والعلوم والأداب التي يتلقاها طوال فترة تعلمه وحياته في هذه الأوساط الاجتماعية، مما لها من أثر نفسي وعقلي؛ وهذا مما يسهم بشكل كبير في بناء ذاته وما ينعكس عنها في أفعالها وسلوكيتاته الفردية والاجتماعية، فالإنسان الذي ينشأ في بيئة سليمة ومعرفة حقة لا يشوبها انحراف فكري أو سلوكي، فلا شك أن نفسه سليمة من الأمراض النفسية التي قد يضاب بها نتيجة سوء التربية والتعليم، وانحاط وانحراف العادات والأعراف الاجتماعية، فهوية وشخصية الإنسان تعتمد اعتماداً كلياً على ذلك، قال تعالى: "هو الذي أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ثم جعل لكم السمع والبصر والفوائد..." [١٦]، وقال النبي (ص):

---

[١٤] طيارة، عفيف عبد الفتاح، الخطايا في الإسلام ، ص ٢٢ – ٢٣ دار العلم للملايين – بيروت ط ١.

[١٥] طيارة، عفيف عبد الفتاح، الخطايا في الإسلام ، ص ٢٩ دار العلم للملايين – بيروت ط ١.

[١٦] النحل: ٧٨.

"كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يوهدانه ويمجسانه"[١٧].

قال الطباطبائي تفسير قوله تعالى: "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة "[١٨]: "والتأمل في حال الانسان والتدبر في الآيات الكريمة يفيدان أن علم الانسان النظري أعني العلم بخواص الأشياء وما يستتبعه من المعارف العقلية يبتدئ من الحس فيعلمه الله من طريقه خواص الأشياء كما يدل عليه قوله : " فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه " (الآية) فنسبة بعث الغراب لإراءة كيفية المواراة إلى الله سبحانه نسبة تعليم كيفية المواراة إليه تعالى بعينه فالغراب وإن كان لا يشعر بأن الله سبحانه هو الذي بعثه ، وكذلك ابن آدم لم يكن يدرى أن هناك مدبرا يدبر أمر تفكيره وتعلمه ، وكانت سببية الغراب وبحثه بالنسبة إلى تعلمه بحسب النظر الظاهري سببية اتفاقية كسائر الأسباب الاتفاقية التي تعلم الانسان طرق تدبير المعاش والمعاد ، لكن الله سبحانه هو الذي خلق الانسان وساقه إلى كمال العلم لغاية حياته ، ونظم الكون نوع نظم يؤديه إلى الاستكمال بالعلم بأنواع من التماس والتصاك تقع بينه وبين أجزاء الكون ، فيتعلم بها الانسان ما يتوسل به إلى أغراضه ومقاصده من الحياة فالله سبحانه هو الذي يبعث الغراب وغيره إلى عمل يتعلم به الانسان شيئا فهو المعلم للانسان "[١٩].

ثم قال بأن: "الآية تؤيد ما ذهب إليه علماء النفس ان لوح النفس خالية عن المعلومات أول تكونها، ثم تنتقش فيها شيئا فشيئا كما قيل وهذا في غير علم النفس بذاتها فلا يطلق عليه عرفا يعلم شيئا والدليل عليه قوله تعالى في خلال الآيات السابقة فيمن يرد إلى ارذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا فان من الضروري انه في تلك الحال عالم بنفسه"[٢٠].

وأما صاحب الامثل فق قال في تفسيره للآية السابقة، وهي قوله تعالى: "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا":."فمن الطبيعي أنكم في ذلك المحيط المحدود المظلم تجهلون كل شئ ، ولكن عندما تنتقلون إلى هذا العالم فليس من الحكمة أن تستمروا على حالة الجهل ، ولهذا فقد زودكم الباري

[١٧] البغدادي، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج٢، ص٢٣٣؛ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج٢، ص٩٨؛ ج٦، ص٢٠؛ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، ج٦، ص٢٠٣.

[١٨] النحل: ٧٨.

[١٩] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص٣٠٩.

[٢٠] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص٣١٢.

سبحانه بوسائل إدراك الحقائق ومعرفة الموجودات وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة . لكي يتحرك حس الشكر للمنعم في أعماقكم من خلال إدراككم لهذه النعم الربانية الجليلة لعلكم تشكرون . "[٢١] .

جاء في نظرية (سوليفان) في بيان السلوك والعلاقات الاجتماعية بأن: "الفرد يسلك السلوك الذي يتوقعه منه الآخرون، أي أن السلوك هو نتاج ورد فعل لتوقعات المجتمع منه، والتي تؤثر بشكل مباشر في توقعاته وتنبؤاته المستقبلية، وهذه نقطة مهمة للتربويين من آباء ومعلمين وأقارب ومجتمع ككل، توضح أهمية التوقعات والصور الذهنية، والأحكام المسبقة التي تطلق على الفرد، فيتقولب بقالبها ويسلك سلوك ينسجم معها، وقد تكون هذه التوقعات إيجابية توقظ جذور الإبداع والتميز أو سلبية تخمدها"

ومن هنا يرى سوليفان بأنّ "الشخصية ليست ثابتة بل متغيرة، فليس هناك شخصية واحدة، وهذا ما أطلق عليه سوليفان مصطلح "وهم الفردية"؛ أي أن هناك شخصيات كثيرة لدى الفرد بحسب طبيعة العلاقات البين شخصية (العلاقات مع من لهم أهمية سيكولوجية للفرد) ودرجة تأثيرها، وهذا ما يفسر وجود تقييمات مختلفة لنفس الفرد من قبل المجتمع، فقد يكون طيبا في نظر البعض وقاسيا في نظر البعض الآخر، نشيطا وكسولا، معطاء وأنانيا، أي أن الفرد قد يسلك سلوكا مختلفا في بيئات مختلفة ومع أشخاص مختلفين لذلك بعض التغييرات في الحياة مؤثرة في الشخصية ومنها مكان السكن، والمدرسة، والعلاقات الشخصية الجديدة والأصدقاء، والتخصص الدراسي وطبيعة العمل والخبرات الجديدة"

المبحث الثالث

علاقة السلامة الوراثية بالعقل من منظور العلامة الطباطبائي

تأتي السلامة الوراثية من حيث الأهمية بالنسبة للسلامة البدنية، بالدرجة الأولى، ولا يختلف على ذلك اثنين، وبالأخص أن علماء التربية وعلم الاجتماع والنفس كثيراً ما يؤكدون على أهمية ذلك، وقد سبقهم قبل ذلك الدين الإسلامي؛ إذ ورد فيه ما يدل على أهمية وعظيم الأثر بالنسبة للسلامة الوراثية، حتى أن النبي (ص) قد نهى عن التزوج ممن ليست لديها سلامة وراثية جسدية، أو نفسية، إلى درجة جعله يصرح

[٢١] مكارم الشيرازي، ناصر محمد، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٨، ص٢٧٣.

بأن الخال أحد الضجيعين، إذ قال (ص): "اختاروا لنطفكم فإنّ الخال أحد الضجيعين"[٢٢]، فهناك نهي صريح في بعض الروايات عن التزويج ببعض المصابات بالامراض النفسية والعقلية والبدنية، إذ لا يتقصر تأثير العامل الوراثي على الجانب المادي فقط، بل شمل الجانب النفسي والأخلاقي أيضاً، ومن هنا نجد التأكيد عل السلامة الوراثية في النصوص الشرعية القرآنية والروائية، ومن قول النبي (ص) خطب فيه: "أيها الناس إياكم وخضراء الدمن، قيل : يا رسول الله وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء" [٢٣] تمثيلاً بها عن المرأة الحسناء في منبت السوء، وجاء أيضا قوله (ص): "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، ألا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" [٢٤]، وقال الإمام الصادق (ع): " من زوج كريمته من شارب الخمر فقد قطع رحمها"[٢٥].

وهكذا جاء التأكيد على اجتناب لقمة الحرام، لما لها من أثر سلبي على الجانب البدني والنفسي، وقد جاء في القرآن الكريم بما يرتبط بمسألة الوراثة، إذ جاء في جملة الآيات التي أشار إليها القرآن الكريم، منها قوله تعالى: "وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ"[٢٦]، قال الطباطبائي: "أي ورثه ماله وملكه، وأما قول بعضهم: المراد به وراثة النبوة والعلم ففيه أن النبوة لا تقبل الوراثة لعدم قبولها الانتقال، والعلم وإن قبل الانتقال بنوع من العناية غير أنه إنما يصح في العلم الفكري الاكتسابي والعلم الذي يختص به الأنبياء والرسل كرامة من الله لهم وهبي ليس مما يكتسب بالفكر فغير النبي يرث العلم من النبي لكن النبي لا يرث علمه من نبي آخر ولا من غير نبي"[٢٧].

وقال تعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ" [٢٨]، قال الطباطبائي" شروع في الإشارة إلى أن الاهتداء والفسق جاريان في الأمم الماضية حتى اليوم فلم تصلح أمة من الأمم بعامة أفرادها بل لم يزل كثير منهم فاسقين. وضمير " فمنهم " و " منهم " للذرية والباقي ظاهر"[٢٩].

---

[٢٢] الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٥، ص٣٣٢؛ القاضي المغربي، النعمان دعائم الإسلام، ج٢، ص١٩٤؛ الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، ج٧، ص٤٠٢؛ الأحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي، ج٣، ص٣٠٢.

[٢٣] الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٥، ص٢٣٢، الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٢٩٢.

[٢٤] الأحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي، ج٣، ص٣٤٠.

[٢٥] المصدر نفسه، ج٣، ص٣٤٠؛ الطبرسي، أبو نصر الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، ص٢٣٨.

[٢٦] النمل: ١٦.

[٢٧] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص٣٤٩.

[٢٨] الحديد: ٢٦.

[٢٩] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص١٧٢.

وقال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ . ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "[٣٠] قال الطباطبائي: "والاصطفاء أخذ صفوة الشئ ويقرب من معنى الاختيار والفرق أن لاختيار أخذ الشئ من بين الأشياء بما أنه خيرها والاصطفاء أخذه من بينها بما أنه صفوتها وخالصها"[٣١]، وقوله: "من عبادنا " يحتمل أن يكون " من " للتبيين أو للابتداء أو للتبعيض الأقرب إلى الذهن أن يكون بيانية وقد قال تعالى: "وسلام على عباده الذين اصطفى"[٣٢] ، "واختلفوا في هؤلاء المصطفين من عباده من هم؟ فقيل: هم الأنبياء، وقيل: هم بنو إسرائيل الداخلون في قوله: " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين "[٣٣]، وقيل: هم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد أورثوا القرآن من نبيهم إليه يرجعون وبه ينتفعون علماؤهم بلا واسطة وغيرهم بواسطتهم، وقيل: هم العلماء من الأمة المحمدية"[٣٤].

وقال تعالى: "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ" [٣٥]، قال الطباطبائي: "ففيه أن المجتمع الإسرائيلي المنعقد بعد نجاتهم من فرعون وجنوده لم يصف من الكفر ولنفاق والفسق ولم يخلص للذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا حينا على ما ينص عليه القرآن الكريم في آيات كثيرة، ولا وجه لتشبيه استخلاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات باستخلافهم وفيهم الكافر والمنافق والطالح والصالح. ولو كان المراد تشبيه أصل استخلافهم بأصل استخلاف الذين من قبلهم – وهم بنو إسرائيل – كيفما كان لم يحتج إلى إشخاص المجتمع الإسرائيلي للتشبيه به وفي زمن نزول الآية وقبل ذلك أمم أشد قوة وأكثر جمعا منهم كالروم والفارس وكلدة وغيرهم وقد قال تعالى في عاد الأولى وثمود: "إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح"[٣٦]، وقال: "إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد "[٣٧] ، وقد خاطب بذلك الكفار من هذه الأمة فقال: " وهو الذي جعلكم خلائف الأرض "[٣٨] ، وقال: " هو الذي جعلكم خلائف

---

[٣٠] آل عمران: ٣٣-٣٤.

[٣١] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٧، ص٤٥.

[٣٢] النمل: ٥٩.

[٣٣] آل عمران: ٣٣.

[٣٤] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٧، ص٤٥.

[٣٥] القصص: ٥.

[٣٦] الأعراف: ٦٩.

[٣٧] الأعراف: ٧٤.

[٣٨] الأنعام: ١٦٥.

في الأرض فمن كفر فعليه كفره"[٣٩]. فإن قلت: لم لا يجوز أن يكون التشبيه ببني إسرائيل ثم يؤدي حق هذا المجتمع الصالح بما يعقبه من قوله: " وليمكنن لهم دينهم " إلى آخر الوعد؟ قلت: نعم ولكن لا موجب حينئذ لاختصاص استخلاف بني إسرائيل لان يشبه به وأن يكون المراد بالذين من قبلهم بني إسرائيل فقط ..." [٤٠].

وقوله: " وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم " تمكين الشئ إقراره في مكان وهو كناية عن ثبات الشئ من غير زوال واضطراب وتزلزل بحيث يؤثر أثره من غير مانع ولا حاجز فتمكن الدين هو كونه معمولا به في المجتمع من غير كفر به واستهانة بأمره، ومأخوذا بأصول معارفه من غير اختلاف وتخاصم وقد حكم الله سبحانه في مواضع من كلامه أن الاختلاف في الدين من بغي المختلفين كقوله: "وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم "[٤١]، والمراد بدينهم الذي إرتضى لهم دين الاسلام، وأضاف الدين إليهم تشريفا لهم ولكونه من مقتضى فطرتهم"[٤٢].

وعليه فالعامل الوراثي له دور كبير في شيوع الأفكار والمعتقدات، وتمكنها من نفس الإنسان، حتى قال الحق تبارك وتعالى على من تجذرت في نفوسهم العادات والعقائد الفاسدة، قال تعالى: "إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون"[٤٣]، وقال تعالى: "وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون"[٤٤]،وقد ثبت في الاكتشافات العلمية الاخيرة أن بدن الإنسان يحتوي على ريط يعرف بالحامض النووي (ADN) ، يحتوي على كامل خصوصيات الإنسان وما يرتبط بآبائه عن طريق الوراثة إلى ما يقارب أكثر من خمسين جد، يمكن من خلاله التعرف على عائلته ونسبه وما يعود إليه بواسطة الجينات الوراثية، و مما أشار إليه القرآن الكريم في بعض آياته ومنها قوله تعالى: "هلْ أَتَى عَلَى الإنسان حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ"[٤٥]، قد ثبت علميا أن النطفة هي المسؤولة عن نقل البرنامج الوراثي

---

[٣٩] فاطر: ٣٩.

[٤٠] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص١٥٢.

[٤١] البقرة: ٢١٣.

[٤٢] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص١٥٢.

[٤٣] الزخرف: ٢٣.

[٤٤] البقرة: ١٧٠.

[٤٥] الإنسان: ١-٢.

(ammingGenetic progr) من الآباء إلى الأبناء "مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ"[٤٦] ، وقال تعالى: "فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ"[٤٧] .

أثبت بعض الدراسات في جامعة بافلو الأمريكية أن الجينات الوراثية تتحكم في السلوك البشرى وفي طبيعة الإنسان باعتباره شخصاً لطيفاً أو شخصاً فظاً. وبالتالي لا يمكن النفي بأن الإنسان قد يولد حاملاً تلك الطباع والسمات الشخصية[٤٨]. فقد نشرت مجلة العلوم النفسية هذه الدراسة وفيها أن الإنسان لا يكتسب الخصال أو الطباع الحميدة من سلوك جيد وقلب طيب أو الخصال السيئة كالكره والكذب والعصبية من الأشخاص في وسطه المحيط أوفي البيئة التي ترعرع فيها. بل هي طباع وخصال تم اكتسابها عبر الجينات الوراثية التي يحملها أحد الأبوين أو الأقارب

والحاصل مما تقدم أن السلامة الوراثية لها أثر كبير في طبيعة أفكارنا ومعتقداتنا وسلوكياتنا الأخلاقية ؛ يرها علماء الوراثة أنها أمور ثابتة يتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد عبر جيناتهم الوراثية، وهو ما يعبر عنه في القرآن الكريم بالأمشاج والصلصال، وقد جاء في القرآن ما يؤيد مثل هذه الرؤى والنظريات في علم الوراثة، ومنها قوله تعالى: "والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون"[٤٩] ، قال الطباطبائي: " يفيد أن تأثير البنى الانسانية في الصفات والأعمال على نحو الاقتضاء دون العلية التامة كما هو ظاهر . كيف وهو تعالى يعد الدين فطريا تهتف به الخلقة التي لا تبديل لها ولا تغيير قال: " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم "[٥٠]، وقال : " ثم السبيل يسره "[٥١] ولا تجامع دعوة الفطرة إلى الدين الحق والسنة المعتدلة دعوة الخلقة إلى الشر والفساد والانحراف عن الاعتدال بنحو العلية التامة . "[٥٢]

[٤٦] عبس: ١٩.

[٤٧] الطارق: ٥-٧.

[٤٨] موقع العربية نت، ٢٠١٢.

[٤٩] الأعراف: ٥٨.

[٥٠] الروم: ٣٠.

[٥١] عبس: ٢٠.

[٥٢] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص١٩.

وايضاً تُعد السلامة الفطرية من بين أهم العوامل الذاتية والنفسية، وقد اكد القرآن الكريم على أهمية الفطرة وطهارتها وأثرها في استقامة الفرد وبناء ذاته، إذ عدها من الصفات الخلقية التي تسهم في تكوين الإنسان الأولية، بالإضافة إلى كونها أحد النعم الإلهية التي منَّ الله تعالى بها على الإنسان، إذ جعله محبولاً فطرياً في أصل خلقته على بعض الأمور الأساسية منها معرفة الله تعالى، إذ قال تعالى: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم" [٥٣]، أي التوحيد[٥٤]، مما كان لها أثر في توجيه الإنسان الوجهة الصحيحة مالم تدنس هذه الفطرة السليمة، وقد قال تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" [٥٥]، كما قد ساهمت هذه الفطرة في البنية الأخلاقية؛ إذ عملت على تبصيره في السلوك السوي، وهذا ما يستشعر في نفسه من راحة العدل والصدق والإحسان وسائر القيم والمبادئ الإنسانية والأخلاقية، بخلاف الأمور الا اخلاقية من قبيل الظلم والكذب والتعدي والتجاوز وغيرها من الصفات الا اخلاقية ولا إنسانية، فإنه يشعر بانقباض النفس وعدم ارتياحها، كما لا يخفى مدى العلاقة بين العلوم العقلية والعلوم الفطرية؛ لأن الأخير تعد من جملة الضروريات والفطريات التي يعتمد عليها العقل في الاستدلال والتحليل والتبيين، كما عدها المناطقة من الأوليات الستة، فلا يمكن للعقل الحكم إلا بعد الاستناد إلى الأوليات العقلية والتي منها الفطريات والبديهيات[٥٦]، سواء أكان ما يدرك منها بالحس الظاهري أو الحس الباطني.

وللمعرفة الفطرية دور كبير في العديد من العمليات الفكرية والرياضية، معرفة التداخلات والتلازمات والتقسيمات، وهي في الواقع تعمد على اعتماد بعض المقدمات اليقينية لكونها مقدمات فطرية وجدانية تقل نسبة الخطأ فيها بالقياس إلى بقية المعارف الأخرى ولاسيما المعارف والعلوم الكسبية، ولكن ها لا يعني أن الفطرة لا تتأثر بالعوامل النفسية والخارجية، بل قد تضعف أو تختفي عند تعرضها إلى بعض العوارض الخارجية أو النفسية، كما أن الله تعالى لم يترك الفطرة دون أن يجعل لها ما يوقظها ويعيد إلى ما كانت عليه قبل تعرض لتلك الطوارئ، ولذا قال أمير المؤمنين: " فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته. ويذكروهم منسي نعمته . ويحتجوا عليهم بالتبليغ . ويثيروا لهم دفائن العقول.." [٥٧].

---

[٥٣] الروم : ٣٦.

[٥٤] الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص١٢؛ الصدوق، محمد بن علي، كتاب التوحيد، ص٣٢٨.

[٥٥] التين: ٤.

[٥٦] ينظر: المظفر، محمد رضا، المنطق، الجزء الثالث، القسم الخامس، ص٣٣٦.

[٥٧] عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٣.

من الأدلة على وجود هذه السجية عند الإنسان ما يظهره الأطفال في رغبتهم في التعاون ومساعدة الآخرين، ومن جملة الأمور الفطرية ما نجده في أنفسنا من مخالفتها للاعتداء على الآخرين، وقد ورد النهي عن ذلك في القرآن الكريم موافقا لهذا الاحساس الفطري ، قال تعالى: "من فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"[٥٨].

ومن الأمثلة الأخرى ما ورد في القرآن الكريم بخصوص النهي عن التعاون على الإثم والعدوان، قال تعالى: "وتعانوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"[٥٩]؛ ولهذا يجد الإنسان في قرار نفسه انجذابا خاصاً نحو الخير وتنفر نفسي عما فيه شر، وهذا خير دليل على وجود قوة نفسية لها القدرة على الجذب والنفرة نحو الأشياء بحسب طبيعتها الحسنة أو القبيحة، وهذا مما لا يكون عن طريق الكسب والتعليم، وإنما يكون عن طريق ما خصه الله تعالى به من الأحاسيس والمشاعر الفطرية الوجدانية، ولكن ليس كل أمر فطري لابد أن يكون متجلياً في جميع الظروف، بل في ظهر تجده متجليا وفي أخرى مختفياً[٦٠] .

ومن هذا المنطلق يجد الإنسان في نفسه له رابطة تربطه بمصادر الخير والرحمة، ومنها الارتباط الفطري بالخالق والصانع المبدع ، فينجذب لا إراديا إلى محبته؛ إذ تتجلى تلك العلاقة به من خلاله حبه للعلم والمعرفة وكل كمال وجودي، ولهذا قال الإمام الصادق (ع) في وصف الله تعالى(معروف عند كل جاهل) في إشارة إلى المعرفة الفطرية التي عاكسها بسبب المؤثرات الخارجية والميولات والأهواء النفسية والشيطانية، فلم يكن في الوجود الخارجي من لا يعرف الله تعالى ولا ينجذب إليه وإن اختلف في تحديد وتشخيص مصداقه، إذ لا يوجد على وجه الأرض إنسان بلا دين ولا عقيدة وإن حاول أن يكابر ويكابد في ذلك كالملحدين الذين ينكرون وجوده بألسنتهم ويؤمنون بوجده في نفوسهم؛ إذ إنهم لا يمكن أن تخلى نفوسهم من الإيمان بعقيدة ما، وهم بذلك يدعون البحث عن الكمال الوجودي المطلق، نسوا أن ذلك الكمال متجليا وظاهراً به سبحانه وتعالى، غير أن ميولاتهم وشهواتهم وأهواءهم النفسية حال دون رؤيته في قرار أنفسهم وأمام أعينهم[٦١].

---

[٥٨] البقرة: ١٩٠.

[٥٩] المائدة: ٢.

[٦٠] ينظر: السبحاني، جعفر، المحاضرات في الالهيات، ص١٣٦.

[٦١] ينظر: الجوادي الآملي، الإنسان والدين، ص٥٢.

الخاتمة

هل يتسنّى للإنسان في كسبه المعارف والعلوم أن يخالف طبيعته فلا يمارس الاستدلال؟ إذ كيف تدعو الأديان السماوية والأنبياء والسفراء الإلهيون الناسَ لسبيلٍ يخالف فطرتهم وطبيعتهم، فيطالبونهم بالقبول بلا دليلٍ وحجة، ثم وفي نهاية المطاف يسوقونهم في مسيرٍ غير طبيعي ومضادّ للعقل بل إن منهج الأنبياء في دعوة الناس للحقّ والحقيقة لا يختلف عن ما يسلكه الإنسان من سبيل الاستدلال المنطقي الصحيح، والفرق الوحيد الموجود إنّما هو في أنّ الأنبياء يستمدّون ما عندهم من مبدء غيبي، ويرتضعون من ثدي الوحي وضرعه، لكن مع هذا المقام السامي الذي عندهم، ومع هذا الارتباط الذي بينهم وبينه يتنزّلون ويضعون أنفسهم في مستوى تفكير الناس، فيخاطبونهم على قدر عقولهم، ويطلبون منهم استخدام هذه القدرة الفطرية العامّة، أي الاستعانة بالاستدلال وتوظيف الدليل المحكم والمنطقي.

وعليه، فساحة الأنبياء أكثر تنزّهاً عن أن تجبر الناس على الإقدام على أمورٍ بلا بصيرة ولا وعي، أو اتّباعهم اتّباعاً أعمى، وهناك يكون حديث الأنبياء مع الناس في دائرة وعيهم وإدراكهم، وحتى لو أتوا بمعجزة فإنهم يحتجّون في ذلك على أساس برهانٍ عقلي، فيثبتون دعواهم بالدلالة العقلية للمعجزات.

والقرآن الكريم شاهدُ ما ندّعيه؛ ذلك أنه عندما كان يتحدّث عن المبدأ والمعاد، وسائر مسائل ماوراء الطبيعة، ثم يدعو المجتمع البشري لقبول ذلك، فهو لا يستخدم سوى سبيل الاستدلال وتقديم الدليل الواضح، ولا يقنع بغير البرهان والدليل.
إنّ القرآن يمتدح العلم واستقلال الفهم والنظر، فيما يقبّح الجهل والتقليد الأعمى، ويذمّهما بشدّة في آياته.. وليس للدين من هدفٍ سوى نيل الناس لحقائق عالم ما وراء الطبيعة، أي الفلسفة الإلهية، بمعونة الاستدلال وبسلاح منطق العقل، وبقوّة البرهان الذي تجهّزوا به بالفطرة والطبيعة .

ويرى العلامة الطباطبائي أن المقولة الأخبارية التي تقول: اذا كانت مقدّمات قياسٍ ما غير مستفادة من الشرع لم تكن النتيجة حجّةً فيه، وأن النتائج التي يمكن قبولها هي ـ فقط ـ التي تصل عبر الدين

والروايات دون النتائج العقلية؛ لعدم كونها معتبرة مقولةٌ لا أساس لها؛ ذلك أن العقل لا يرى فرقاً بين أنواع المقدّمات في اعتماده على المقدّمات البرهانية، فإذا ما قام البرهان على شيء أُلزم العقل بقبوله .

قائمة المصادر

ينظر: المظفر، محمد رضا، المنطق، الجزء الثالث، القسم الخامس.

الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢.

الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٥

الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج٣.

الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٥،

القاضي المغربي، النعمان دعائم الإسلام، ج٢

الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، ج٧

الأحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي، ج٣

مكارم الشيرازي، ناصر محمد، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٨

الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢

الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٥

البغدادي، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج٢

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج٢،

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، ج٦

طيارة، عفيف عبد الفتاح، الخطايا في الإسلام ، دار العلم للملايين – بيروت ط ١.

إعداد مركز الرسالة؛ تربية الطفل في الإسلام.

إعداد مركز الرسالة؛ آداب الأسرة في الإسلام

الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٤

عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، ج٤

المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨

الميلاني، علي، الشورى في الإمامة ، محاضرات في الاعتقادات، ج٢، ص٥٢٧.

الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٨

الصدوق، محمد بن علي، الخصال علل الشرائع، ج١

القرشي، محمد باقر، النظام السياسي في الإسلام

راجح، د. أحمد عزت ، أصول علم النفس ، ص ١٢.

حياة الإمام الرضا (ع)، ج١.